إعداد
مشعل بن مساعد المغربي

تقديم
الشيخ الدكتور
سعيد بن مسفر

عندما ينتحر العفاف

قصص واقعية
(المجموعة الأولى)

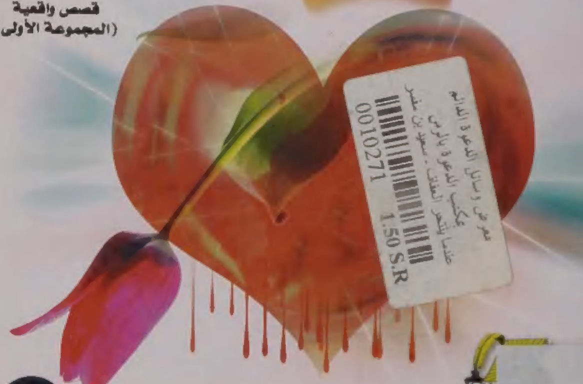

عندما ينتحر العفاف . سعيد بن مسفر
0010271
1.50 S.R

دار الطرفين
٠٥٠٣٥١٢٤٩٩

ريال واحد
فقط

٢١٢
م ع

ح مشعل بن مساعد المغربي، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المغربي ، مشعل بن مساعد

عندما ينتحر العفاف .- مكة المكرمة .

٠٠٠ ص ، .. سم

ردمك ٠-٨٦٥-٤١-٩٩٦٠

١- الوعظ والإرشاد - قصص أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ٢٣/٣٥٤٤

رقم الإيداع : ٢٣/٣٥٤٤

ردمك : ٠-٨٦٥-٤١-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الإهداء

مع وافر الحب والتقدير أهدي هذا الإصدار المتواضع إلى فضيلة الشيخ الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني اعترافًا بفضله، وتقديرًا لجهده، فلولا أن الله سخر شخصه الفاضل لبقيت هذه المجموعة في طي الكتمان حتى يواريها النسيان، فأيقظها من مرقدها، وما شريطه المشهور «عندما ينتحر العفاف» إلاَّ غَرفة من هذا النهر، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

كتبتُهَا مِنْ معاناتي وتَجْرِبتي
بخافقٍ ترجُمُ الإحساسَ وَالألَمَا
نسجْتُهَا تحتَ جُنْحِ الليلِ مَلْحَمَةً
حَتَّىٰ تَلألأَ ضوءُ الفجرِ مبتسِمَا
حقيقةً مثلَ ضوءِ الشمسِ ماثلةً
تَرْوِي حِكايةَ مظلومٍ ومَن ظَلَمَا
في مسرحٍ قد تَمَادَى العابثون به
أبطالُهُ حلَّلوا الفحشاءَ والنِّعَمَا
فانهارَ بالقومِ أطلالاً مروّعةً
تجرّعوا من لظى بأسائها السَّقَمَا
فلو رأيتَ ضحاياهم مبعثَرَةً
بكَتْ عيونُكَ في ساحِ المُصَابِ دَمَا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

فضيلة الدكتور/سعيد بن مسفر القحطاني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم.

فالقصص أسلوب تربوي فعَّال له أثره الكبير في إصلاح النفوس، وتهذيب الأخلاق، وتصحيح مسار الإنسان في هذه الحياة، جاء كثيرًا في القرآن الكريم، يقول عز وجل: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾، وجاء أيضًا في كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة، لاسيما إذا كان من عالم الواقع وليس من نسج الخيال، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾.

وهذه المجموعة القصصية الذي دبَّجها يراع الأديب والشاعر الأخ/ مشعل المغربي بأسلوبه الآخَّاذ، وتصويره الفني الجميل، والتي اختار لها هذا العنوان «عندما ينتحر

العفاف»، وشرَّفني بأن أكتب لها هذا التقديم، لتؤدي دورها في تربية الجيل وأخذ العبرة من تلك القصص المؤلمة التي حدثت في الواقع، ولتلقي بظلالها على حياة كثير من الشباب والفتيات الذين جنحوا وساروا في طريق الغواية، لعلهم يأخذون عبرة من تلك الأحداث، ويراجعون أنفسهم، ويعودون إلى ربهم قبل فوات الأوان وحين لا ينفع الندم.

أرجو الله أن ينفع بها، وأن يجزي كاتبها خير الجزاء، وأن يهدي شباب وفتيات المسلمين لسلوك سبيل الحق والاستقامة عليه.

كتبه

د/ سعيد بن مسفر القحطاني

في ٢٧/ ٥/ ١٤٢٣هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

«**عندما ينتحر العفاف**» قطرة سوداء في بحر من الفضيلة والنقاء، قصص من أرض الواقع عايشت أحداثها، وتتبعت خيوطها، حتى اكتملت لدي الصورة، فاستشرت واستخرت، ومن ثم أقدمت على نشرها انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ **فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ** ١٧٦ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ** ﴾، ومن مقولة قراءتها للشيخ عبدالحميد البلالي: «إن القصة لا يمكن أن تحدث التأثير القوي إلاَّ عندما تكون واقعية أو قريبة من الواقع»، ولظني أن فيها كثير من العبر والعظات.

وأعتذر ابتداءً عن التقصير والخطأ فما هي إلاَّ جهد المقل، فإن كان صوابًا فمن الله، وإن خطأ فمن نفسي

والشيطان، وأستغفر الله منها، فمن وجد خللاً فليصفح ويصلح وينصح، فالخير أردت وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب.

مشعل المغربي
مكة المكرمة
ص.ب ٣٣٣٠

القصة الأولى
عندما ينتحر العفاف

أَشرقَتْ شمس ذٰلك اليوم لتُعْلِنَ عن ميلاد يوم جديد، علىٰ أعمالِ العباد شهيد، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾.

فأَمَّا أهل الشقاء في يوم ليس ككلِّ الأيام حمَلَ مع شعاع شمسه نهايةً مأساويةً، وقصة دمويّة، تمادىٰ أبطالها في التمثيل حتىٰ أُسْدِلَ عليهم الستار، وخلفه آلافٌ من الآلام..

في صباح ذٰلك اليوم الرمادي، وَصَلَ البلاغ إلىٰ قسم الحوادث عن وجود حادث مُرُورِيّ، وبه وفاة رَجُل وزوجته، وعلَى الفور انتقَلَ ضابط الحوادث المُناوب، ومعه أعوانه إلىٰ مكان الحادث الذي يبعُدُ عن المدينة قرابة ٢٥ كيلومترًا، وعندما وصل الموقعَ، وجد الحادث في سفح أحد الجسور المرتفعة عن مستوىٰ الأرض، ويصعُبُ النزول إليه، ولٰكن ضابط الفرقة استعان بالله ونزل الهُوَيْنَىٰ آخذًا بيد أحد أعوانه، وعندما وصل وجد المفاجأة!!.

وهي علىٰ صورةٍ شبه عارية، أما لباسها ـ والعياذ بالله ـ فإنَّها كانت ترتدي بنطالاً ضيقًا إلىٰ نصف ساقها، وهو ما يسمَّىٰ «إسترتش»، وتلبس قميصًا ضيقًا أيضًا يغطِّي نصف بطنها فقط، أما وجهها فقد اختلط فيه جمالُهَا الطبيعيُّ مع الأصباغ التي وضعتها علىٰ وجهها؛ لتزيد الحسن حسنًا، مع تراب سَفْحِ ذٰلك الجسر، وقد أخذتْ وَضْعَ القرفصاء، وهي جامعةٌ يديها إلىٰ نحرها مبرزةً أظافرها الحمراء الطويلة؛ وكأنَّها كانت تصارعُ ملَكَ الموت فاغرةً فاها، وكانتِ الفاجعة أعظم عندما انبعث من ذٰلك الثغر الجميل رائحةُ المسكر ـ والعياذ بالله ـ يا لَلْهَوْلِ!! امرأةٌ في العشرين من عمرها تسكر.. أجل والله!.

وقَد اختلَطَ شعرها الذي جرَتْ عليه الأصباغ الذهبية، والقصَّات الغربية، اختلط بدمها.

غطَّاها رجال الأمن بغطاء، وذهبوا إلىٰ من كانوا يظنُّون أنه زوجها.. فإذا المصيبةُ أدهىٰ، والخطب أمرّ.. رَجُلٌ في الخمسين من عُمُره قد خَطَّ الشيبُ في عارضه، فارق الحياةَ ورائحةُ المسكر تفوحُ من فمه، ووجهه مشوَّه من شدَّة

الصدمة، مُغْبَرٌّ من شدَّة التراب الذي علاه..

عاد رجلُ الأمن إلىٰ سيَّارته الفارهة، فإذا بها قارورةُ مسكر وبعضُ الأطعمة التي تُعَدُّ للجلسات الحمراء، وجهاز التسجيل به شريطٌ غنائيٌّ، ولٰكنَّه توقَّف من شدة الصدمة، وإذا الحقيقة المُرَّة الماثلة للعيان، وهي أنَّ الرجلَ الخمسينيَّ أجنبيٌّ عن المرأة العشرينيَّة، ولا تَمُتُّ له بصلة.

وبالرجوع إلىٰ خلفيَّات القصة اتَّضَحَ أنَّ هٰذا الذئب الذي بلغ من العمر عتيًّا قد أخذ فريستَهُ التي في ظنِّ الكثير من شبابنا وشابَّاتنا مع الأسف غنيمة وأيّ غنيمة، غنيمةٌ تَفْنَىٰ من أجْلِها الأوقات، وتُهْدَرُ فيها الأموال، وتُبذل فيها النفوس رخيصة.

أَخَذَ فريسته وذهَبَ بها إلىٰ البحر وفي إحدى الاستراحات دارَتْ رحىٰ السهرة الحمراء؛ رقْصٌ وغناء، وسُكْرٌ وعربدة، وما خفي كان أعظَمَ فما ظنُّك باثنين الشيطان ثالثهما، والخمر رابعهما، والموسيقا والرقص خامسهما؟! استمرا علىٰ ذٰلك حتىٰ ساعة متأخِّرة من الليل، وبعد أن قضىٰ كُلٌّ نهمته، عاد الذئبُ بفريسته ليوصِّلها إلىٰ منزلها؛ لٰكنَّه أخطأ الطريق فسلَكَ طريقًا آخر، وفي هٰذا الطريق، ولِكَوْنِهِ فاقدَ

الإدراكِ؛ انحرفَتْ سيارته بكلِّ سُرْعتها لترتطمَ بالسياجِ الحديديِّ للجسر الذي يداهمهما، فيخترق السيارة من المقدِّمة حتىٰ المقعد الخلفي لتسقط في سفح ذٰلك الجسر ليلقيا الله وهم سُكارَىٰ، في خَلْوةٍ فاضحَةٍ، وفي وضعٍ مُشِين!!، ومَنْ مَات عَلىٰ شيءٍ، بُعِثَ عليه! نَعوذ بالله من سوء الخاتمة.

إنَّه العار والشنار في الدنيا والآخرة!! ليس عليهما فقط ولٰكنْ علىٰ كلِّ من يَمُتُّ لهما بصلة.. فبدَلَ أن يترحَّم الأهلُ عليهما دَعَوْا عليهما بالنار والعذابِ؛ جزاءَ ما قدَّماه لهم من هٰذه الفضيحة التي هي وصمةُ عار في جبينهم:

فالرجل كانت الصدمةُ شديدة وبالذات علىٰ أبنائه الذين هم في سِنِّ الرجولة، وكانوا يردِّدون: فضحه الله كما فضحنا!!.

وأما المرأةُ: فسارَع أبوها إلىٰ نَفْيِ التُّهمة عنها.. ابنتي مصحفها في جيبها، وسَجَّادتها في شنطتها و.. و.. و.. وأخذ يكيل لها المديح، وهٰذا الذي أَضَرَّ بها؛ إنَّها الثقة المُفْرِطة التي وقعَتْ في غير محلِّها؛ يوليها الآباء لبعض

بناتهم . . ولـٰكنه اصطدم بالحقيقة؛ فلا تسأل عن حاله بعد ذٰلك .

ولَك أن تتصوَّر وضْعَ رجلٍ فقد ابنته وهي في زَهْرةِ الشباب، ومقتبل العمر!! كيف يكونُ وبهـٰذه النهاية البائسة . . التي انتحر فيها العفاف؟! .

نسألُ الله العافية .

أصونُ عِرضِي بمالي لا أُدَنِّسُهُ
لا باركَ اللهُ بعد العِرْضِ فِي المَالِ

أخي الحبيب . . أُختي الفَاضلة . .

مَنْ مِنَّا يُحِبُّ أَنْ تكونَ هـٰذه نِهَايته؟

الجواب : طبعًا لا أحد .

إذًا فلِمَاذَا التمادي؟! أغرَّك جميلُ ستر الله عليك؟! إنَّ كلَّ من سار علىٰ هـٰذا الطريق إنْ لم يُبَادِرْ بالتوبة، فإنَّ الله له بالمرصاد، وهـٰذه نهايته لا محالة، وإن لم يَكُنْ في الدُّنيا ففي الآخرة! .

أَمَا سَمِعْتُمْ قول المصطفىٰ ﷺ : «إنَّ الله يُمْلِي للظالمِ حتَّىٰ إذا أَخَذَهُ، لم يُفْلِتْهُ» .

إنَّ هٰذه القصة وغيرها ليسَتْ من نَسْجِ الخيال، ولٰكنَّها من أرضِ الواقع؛ فلعلَّ فيها عبرة وعظة!.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

القصة الثانية
فرس الرهان

قصرٌ جميل هو حُلْمٌ لكثير من اللاهثين خلف بريق الدنيا.. رَنَّ الهاتف فجرًا.. قَامَت الأم..وهي مثقلة الخطا، تقدِّم خُطْوةً، وتؤخِّر أخرىٰ.. رفعت السمَّاعة.. مَنْ.. ابنتي.. مَا بِهَا؟

تعرَّضَتْ لحادث مُرُورِيّ بسيط؛ أَبْلِغِي وَالدها بمُرَاجَعَتِنَا.

أُسْلُوبٌ مُؤَدَّبٌ من رَجُل الأمن حتىٰ لا يصدمها بالفاجعة.. قَالَتِ العَجوز المسكينة بعفويّة وسذاجة وبلغتها العامية: «فَال الله ولا فالك»، أكيد أنَّكَ أَخْطَأْتَ في الرقم، أَقْفَلت السماعة.. اتصال آخر.. فإذا به نفس الرَّجل، وهُنَا بَدَأَ يرجفُ قلب الأم وتخورُ قواها، وهي تردِّد بصوت عالٍ مُغْضَب، وتكيلُ للمتصل سبًّا وشتمًا.. ولٰكن رجل الأمن يعيد لها كلامه الأول.. قالت العجوز: يا بُنَيَّ، إنَّ ابنتي نائمة في غرفتها من البارحة.. أكَّد رجل الأمن على ضرورة إبلاغ والدها.. أَقْفَلَتِ السماعة وصَعِدتْ مسرعةً حيث غرفة

ابنتها.. طرقتِ الباب بشِدَّة وهي تُنادي يا... وتصرُخُ، ولـٰكنْ لا حياة لِمَنْ تنادي!!

أيقظت العجوز زوجها.. طَرَقَا الباب سويًّا، ولكنْ دون جدوى.. بَحَثَا عن مفتاحٍ احتياطيّ.. وجداه بعد عناء.. فَتَحَا الباب.. لا أحد في الغُرفة!! أيْنَ ذَهَبَت ابنتهما؟! عندها سقطت الأم، وخارت قواها، ولم تحملها قدماها.

الأب: ما الخبر؟!

الأم: لقد اتَّصلَ بنا.. وأخبَرَتْهُ خبر المُكالمة..

يسرعُ الأب إلىٰ القسم..

نزل من سيَّارته.. يركض إلىٰ الضَّابط المُناوِب.. ما الخبَر؟!.

الضَّابط: اهدَأْ قليلاً.

الأب: قُلْتُ لك: ما الخبر؟!

الضَّابط: إنَّ لله ما أخذَ، وله ما أَعطَىٰ، وكل شيء عنده إلى أجلٍ مسمى فلتصبر، ولتحتسب.

الأب: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

كيفَ خرجَتْ؟! كيفَ ماتَتْ؟! أَين ماتَتْ؟! أخبِرْني!!

إنَّها قصة مأساوية

كانت ابنته فيها فرسَ رهان. . . فلقدِ اجتمَعَ نفرٌ من الشُّبَّان المراهقين علىٰ شاطيء البحر في فيلا والد أحدهم، وأخذ كلٌّ فارس، عفوًا. . خائب. . يحكي بطولاتِهِ مع الساذجات المغفَّلات، (فهل تعي الجاهلات أنَّ سِرَّها قصةٌ تُرْوَىٰ، وحِكَايَةٌ تُحْكَىٰ، وحديثٌ يقطعُ به الركبان سَيْرَهم، ويأنس به السمَّار في سمرهم).

وعندها بدأ التحدِّي علىٰ مبلغ من المال لكلٍّ من يستطيع أن يحضر صديقته إلىٰ هـٰذه الفيلا الموبوءة أولاً . .

سارع علىٰ الفور أحدُ هـٰؤلاء الذئاب إلىٰ الهاتف. . هاتف إحدى صديقاته، وأخبرها الخبر، لبّتْ نِدائه علىٰ الفور؛ لِيكون حبيبها فارسَ الرهان؛ فهي قد هامت به حبًّا ولا تستطيع أن تردَّ له طلبًا؛ إنَّه فارس أحلامها الذي رسمته في خيالها؛ وتصوَّرته يأتيها علىٰ فرسٍ أبيض ليرحل بها من عالم الواقع إلىٰ دنيا السعادة. . أحلامٌ وردية!!

وَكم ينخدعُ بِمثل هـٰذا كثيرٌ من الفتيات!!.

وما علمَتِ المسكينة:

أنَّ المُغَازِلَ ذئبٌ يُغْرِي الفتاةَ بِحِيلَهْ

خرجتْ مِنْ غرفتها إلىٰ موعد صديقها، وكان الخروجَ الأخيرَ الذي لا عودةَ بعده، وتَسلَّلَتْ من باب خلفيٍّ للقصر، وما هي إلاَّ دقائق وإذا بفارسِ الأحلام يُقْبِلُ عليها بسيارتِهِ الفخمة. . انطلَقَ بها كالرصاصة؛ ليكون أولَ من يحضر صديقته لِيفوز بالرهان، وفي منتصف الطريق ونظرًا لسرعته العالية، انحرفَتِ السيارة لتصطدمَ بأحد الأعمدة الكهربائية الموجودة علىٰ جانب الطريق، وما هي إلاَّ لحظاتٌ حتىٰ سكن كلُّ شيء. . إلاَّ المسجِّل الذي يصدح بالموسيقا. . الفتاة التي امتلأ قلبها حنَانًا وعطفًا. . الشابُّ المغامر الذي يحمل في جانبيه تهوُّرَ الشباب، وأجيجَ الشهوة، وحبَّ المنافسة لكسب الرهان. . خيَّم السكونُ علىٰ ذٰلك المكان الرهيب الذي شهد هـٰذه المأساة، وانطبقَتْ عليه بصمات الكارثة، والليلُ يرخي سُدوله لِيَزِيدَ المكان رهبةً وخوفًا. .

إنَّها النِّهايةُ المُحْزِنة!!.

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله، الحمدُ لله الذي عافانا مما ابتلاهُمْ به، وفضَّلَنا علىٰ كثير ممن

خلق تفضيلاً .

أخي القَاريء . . أُختي القارئة . .

وَقْفَةٌ قصيرةٌ . . أغمِضْ عينيك . . عد إلىٰ الوراء قليلاً . . ضَعْ نفسك مكان تلك الفتاة . . . اصدُقْ مع نفسك ؛ فإنَّ أكبر خديعة أن يخدَعَ الإنسانُ نفسه . . واجِهْهَا بالحقيقة المرَّة . . . بالمصير المحتوم لكل من سلك هٰذا الطريق ، ثم قرِّعها بزَواجر الآيات ، وعظيمِ العِبرِ والعِظات .

وانظُرْ إلىٰ مَنْ نجا كيف نَجَا فاسلُكْ سبيله . . وتفكَّر فيمَنْ هلَك كيف هلكَ فتَجَنَّبْ طريقه . . جَعَلني الله وإيَّاكم من الَّذين يستمعون القول فيتَّبعون أَحْسَنَهُ ! !

القصة الثالثة

الوداع الأخير

قالها الرَّجُلُ المسكين، وهو يتجرَّع أَلَمَ الفاجعة، ثائرًا كالبركان.. تكادُ الأرض تتزلزَلُ مِنْ تحت قدمَيْه! ماذا يقول؟! إنَّ كلَّ لغاتِ الدُّنيا لا ولن تستطيع أن تصف مصيبته..

قد تَعْجِزُ الكلماتُ عن مدلولها
وتموتُ في بَحْرِ الحُرُوفِ مَعَانِي

قالها بصوتٍ يسمعُهُ الجميع إنَّها - وإنْ كانتْ فلتاتِ لسان في ساعة غضب - لكنه الحق الذي لا مِرْية فيه (قُلْنا: أنْ ليس للمرأة إلاَّ بيتها) أخذ يكرِّرها، هٰذا هو التَّعْلِيم.. هٰذه هي الجامعة!! رمىٰ بعمامته وعقاله، أَخَذَ يركضُ تارةً، ويقف أخرىٰ.. هل تعلَمُ أخي، هل تعلمين أختي: ما مصيبة الرَّجل؟! أتريد أن تعرفها؟!.

إذًا فأَرْعِنِي سمعك وبصرك، وعقلك وقلبك، وكلَّ مشاعرك.. أَعْطِني مِنْ عمرك المديد دقائقَ معدودة؛ لأسطِّر

لك أحداثَ هـٰذه المأساة. . دقَّت الساعة السادسة صباحًا في ذٰلك المنزل المُكوَّنِ من أب وأم وبناتٍ في عمر الزهور، وذكورًا في مراحل مدرسية مختلفة. . هبَّ الجميعُ استعدادًا للذهاب إلى المدارس. . إنَّه الروتين اليومي. .

انطلق الرَّجُلُ بسيارته مسرعًا في شوارع المدينة المكتظَّة بالسيارات في مثل هـٰذه اللحظات؛ إنَّها ساعة ذِرْوةِ الحركة المرورية.

إنَّها الوظيفة. . إنَّها المادَّة. . . إنَّها الدنيا. . . يتسارَعُ عليها الناس. . زحامٌ وضجيج. . وانتظارٌ مملٌّ عند إشارات المرور. . سبحان الله!.

قبلَ ساعةٍ من هـٰذا الوقتِ نادىٰ منادي الله: حيَّ علىٰ الفلاح. . فلم يجبْ إلاَّ القليل. .

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾.

والآنَ صراعٌ وكبَدٌ؛ من أجل ماذا؟!

أخذ هـٰذا المفجوع أبناءَهُ وهو ينظر إلىٰ أكبر بناته الطالبةِ الجامعيَّة، وهي علىٰ أبواب التخرُّج، وأخذ ينسجُ لنفسه قصصًا من الخيال. . يتصورَّر فَلْذَةَ كبده وهي تتخرَّج في

الجامعة، ثم يتصوَّرها وهي موظَّفةٌ تُدِرُّ عليه بالمال، وهٰذا حالُ كثير من الماديين الذين جعلوا من بناتهنَّ بقرة حلوبًا تُدِرُّ عليهم بالمال، ثم وهي في عُشِّ الزوجية، مع زوجها وأبنائها... هٰذا يبكي وهٰذا يناديه جَدِّي جدي.. إنَّها الأحلامُ والمنىٰ التي يحلُمُ به كلُّ رب أسرة.

أنزَلَ الرجلُ ابنته البالغةَ من العمر عشرين عامًا قد تزيدُ قليلاً عن ذٰلك، وودَّعها ولم يَدْرِ أنَّه الوداعُ الأخير؛ أجَلْ إنَّه الوداعُ الأخير.. نزلَتِ الفتاة وهي تحملُ علىٰ عاتقها شنطتها الجامعية، أما ما تحملُهُ في قلبها، فهو الهُيَام والوَلَهُ؛ إنَّها علىٰ موعِد مع حبيبها..

«أيُّ جامعة هٰذه التي تذهب إليها؟! وأيُّ علم هـذا الذي تريد تحصيله؟! إنَّ أيَّام الشباب محدودة، عمَّا قريب تنقضي؛ فيجبُ عليها أن تبادر باستثمارها كما تراه في قدوتها المفضَّلة النجمةِ والنجمِ المفضَّل.. نعم ولٰكنْ في أوحال الرذيلة والانحطاط.. لماذا كلُّ هٰذه القيود؟! لماذا لا نعيشُ مثلهم في مثل هٰذه السعادة؟!»:

كلمات تتردَّد في صدر المخدوعة، ومَنْ علىٰ شاكلتها

كثير..

وما إن تأكَّدَتْ أنَّ والدها غادر المكان حتىٰ أسرعَتْ إلىٰ حيثُ الحبيبُ يقف هناك بسيارته وقد عطَّرها بالعطورات الزكيّة، والموسيقا الصاخبة، إنَّها ليستِ المرَّة الأولىٰ، كلاَّ.. ولٰكنَّها المرَّة تلو المرَّة، أصبحا خبراءَ في التسلُّل والهروب.

فتحَتْ بابَ السيارة أو فُتِحَتْ لها.. صباح الخير.. صباح الورد والفُلِّ والياسمين.. سارت السيارة وهي تلقي علىٰ جامعتها نظرة الوداع.. الوداع الأخير... والذئبُ يَرُشُّ عليها ألفاظَ الإعجاب والهوىٰ، والحب والهيام، وكأنّها زَخَّاتُ المطر.. فتنزل علىٰ قلبها الخالي من ذكر الله.. من خوف الله.. من الإيمان.. بل حتىٰ من الشرف.. فتجد هٰذه الكلماتُ الأرضَ الخصبة، فتثمر ولٰكن.. ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾؛ وما ظنُّك بشابٍّ ـ أو قُلْ، إن صحَّ التعبير: ذئب ـ أخذ فريسته، وضمن أنّها بين يديه؛ هل تُرَاهُ يسبُّها أو يثني عليها... وفي أثناء هٰذا الحديث طرَحَ هٰذا الذئب فكرةً وكأنّها انقدحَتْ من فكره للتَّوِّ،

والحقيقة أنَّها خطةٌ شيطانية مبيَّتة.

ما رأيُكِ لو ذهبنا إلىٰ مدينة كذا؟ حيثُ البحرُ بأمواجه والنسيمُ العليل، تلكَّأتِ الفريسة دقائقَ؛ ولٰكن وافقتْ أخيرًا علىٰ الذهاب معه!! طار الذئب أو كاد يطير من الفرحة.. أدار مِقْوَدَ سيارته ليسلُكَ الطريق المؤدِّي إلىٰ تلك المدينة.

يَرِنُّ جرس الإنذار في السيارة الشبابية، لقد تجاوز السرعة النظامية، وفي الطريق وهي تُلْقِي نظرةَ الوداع الأخير علىٰ من نَحَرَ عفتها، وشرَفَ أهلها، وسوَّدَ قبيلتها، انفجر إطارُ السيارة، فإذا بها تنقلبُ عدة قلبات، عندها صَرخَتْ، أفاقت من نومها، من سكرتها، من سكرة العشق والهوىٰ.. ولٰكنْ بعد فوات الأوان؛ فقد انتهىٰ كل شيء.

فاتَ الأوانُ عن الإيمانِ يامرأة

لو تابَ قلبُك بالإيمانِ واعتَرَفَا

فإذا بذٰلك الشَّعْرِ الطويل كأنه سنابلُ تركت بغير حصاد يغطِّي ذٰلك الوجهَ الجميل، ولسان حالها يقول للذئب الذي شَرِبَ بنفس الكأس: قَتَلَكَ الله مثلَ ما قَتَلْتَنِي، هُرِعَ رجال الأمن إلىٰ الموقع.. اتَّضَحَ كلُّ شيء..

هـٰذه المرأة مَنْ تكُونُ؟! كيف التَّوصُّل إلىٰ أهلها؟! فتحوا حقيبتها؛ إنَّها طالبة في الجامعة، فورًا أدير قرص الهاتف علىٰ مديرة الجامعة، أُخْبِرتِ الخبر. . فورًا نزلَتْ بنفسها إلىٰ من ينادي بالأسماء عند مدخل البوَّابة. . إذَا حضر فلان أخبرني، وبعد صلاة الظهر وقفتْ مديرة الجامعة عند البوَّابة وهي تكفكفُ دمعها، وتكظمُ غيظها؛ لتنْقُلَ لهـٰذا الأب أسوأ خبر سمعَتْه أذنه.

نعم لقد حضَرَ الرَّجُلُ ليأخذ ابنته كالمعتاد. . يا بوَّاب، ناد: فلان بن فلان.

البواب: لو تكرَّمْتَ يا أخي الكريم، مديرة الجامعة تريد التحدُّث معكَ عند البوابة، تقدَّمَ إلىٰ البوَّابة ومِنْ خلفها سمعَ صوتَ المديرة، والنشيجُ يعلوه: يا أبا فلان. . راجعْ قسم الحوادث في (. . . .) لماذا؟! وماذا حدث؟! أجيبي. .

المديرة: لا أعلم. . هـٰذا ما تلقَّيته عبر الهاتف. .

انطلق الرَّجل مسرعًا إلىٰ المدينة التي لا تبعد كثيرًا من مدينته. . والألم يعصفُ به، والأسىٰ يذهب به كلَّ مذهب. . أسئلةٌ كثيرة في صدره. . ماذا حدث لابنتي؟! ما الذي

أخرجها من جامعتها؟! كيف وصَلتْ لِتِلْكَ المدينة؟! هل ماتَتْ؟! أسئلةٌ كثيرةٌ تَرِدُ علىٰ نفسه، ولا يعرفُ جوابها؟! وصل الرجل إلىٰ القسم تَلَقَّىٰ الخبر: «عَظَّمَ الله أجرك، وأحسنَ عزاءَكَ»، خار الرَّجُلُ.. سقط علىٰ الأرض.. لم تُقِلَّهُ قدماه.. رمىٰ عمامته.. شقَّ ثوبه، ولكن ما الفائدة، وأخذ يردِّد بصوت يسمعه الجميع: ليس للمرأة إلاَّ بيتها..

فيا ليت دعاة التحرير سمعوا صرخته، بعدما صمُّوا آذانهم عن قول اللطيف الخبير الأعلَمِ بحال عباده: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾؟!..

وقفاتٌ علىٰ ضفاف الجرح

الوقفة الأولىٰ: أخي الشاب . . أُختي الشابَّة . .

لو كُشِفَتْ ستورُ الغيب للضَّحِيَّتَيْنِ، وعلما أنَّها ستكون هٰذه نهايتهما، هل يقدمان علىٰ فعل هٰذا الجرم القبيح؟! .

الإجابة معروفة! .

سؤال آخر: هل تستطيعُ أن تضمَنَ نفسك ولو لمدَّة ساعة؟

الإجابة طبعًا: لا .

إذًا أليس من الواجب علىٰ الفتىٰ والفتاة الذين أسكرتْهُمُ الشَّهوات، أن يحذروا هٰذا المصيرَ، وهم يعلمون أنَّ الموتَ غيبٌ لا يعلمه إلاَّ الله، ولا يدري متىٰ يفاجئه ملك الموت؟!

ألا ترىٰ معي أنَّ المصيرَ الذي آل إليه أبطالُ قِصَّتنا قد يجعله اللهُ مصيرَ وقَدَرَ من علىٰ دربهما سار؛ فإنَّ الله ليس بينه وبين أحد نسبٌ . .

أخي . . أُختَاه . .

لِنَقِفْ . . لنعتبرْ . . . لِنَصْدُقْ مع أنفسنا، ولنتذكَّرْ قول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

الوقفة الثانية: إنَّ المريضَ إذا أُغْمِيَ عليه؛ فإنَّ الطبيبَ قد يعرِّضه للصعق الكهربائي؛ لعلَّه يفيق من إغمائه.. وهي تياراتٌ كهربائية شديدة، وعلىٰ ما فيها مِن ألمٍ لٰكن قد يكونُ فيها ـ بإذن الله ـ إفاقتُهُ، ومِنْ ثَمَّ شفاؤه..

وكذٰلك من أُغْمِيَ علىٰ قلبه.. فاتَّبَعَ هواه، وأطاع شيطانه؛ كما قال الله عنهم: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾؛ فإنَّه قد يحتاج إلىٰ حدث أو عظة توقظه من سباته، فلعلَّ في هٰذه القصة صعقاتٍ يفيقُ منها الغافلون، ولعلَّ فيها عظةً وعبرةً تحيا بها القلوب الهامدة؛ ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

الوقفة الثالثة: أيُّها الأب الحنون، هل كان الأبُ يخطُرُ بباله في يوم من الأيام أنَّه يوصِّل ابنته إلىٰ عشيقها، لا إلىٰ جامعتها، وأنَّ ابنته تسلُكُ هٰذا المسلك؟! أعتقدُ أنَّهُ لو كان يعلم ذٰلك، لما أَذِنَ لها أن تغادر البيت ولا ثانيةً واحدةً.

إذًا لماذا هٰذه الثقةُ المُفْرطة في بناتنا بالذات؟! هل هنَّ ملائكةٌ نزلْنَ من السماء؛ فلا يتوقَّع منهنَّ فاحشةٌ ولا ذنبٌ وهل هنَّ يَعِشْنَ في مجتمع ملائكي؟! كَلَّا... لا هٰذا ولا

ذاك.

إذًا لماذا هـٰذه الثقة؟! إنّنا لا نقولُ: شُكَّ فيمَنْ ولاّكَ اللهُ عليهم، ولـٰكنْ كُنْ حارسًا أمينًا؛ فأنتَ في أرض مَسْبَعَةٍ، والسباعُ حولك كثيرٌ؛ فلا تترك الحبلَ علىٰ الغارب؛ فإنَّ الذئاب قد نصبت شباكها.

وَمَنْ رَعَىٰ غَنَمًا فِي أرضٍ مَسْبَعَةٍ
وَنَامَ عَنْهَا تَوَلَّىٰ رَعْيَهَا الأَسَدُ

أخي الأب، تذكَّر عِظَمَ المسؤوليّة علىٰ عاتقك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾؛ تذكَّر ذٰلك الموقفَ وأعِدَّ للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا.

أما سمعتَ قولَ حبيبك ﷺ: «إنَّ اللهَ سائلٌ كُلَّ راعٍ عما استرعاه، حَفِظَ أم ضيَّع».

فهل يا تُرَىٰ مَنْ جلَبَ لأبنائه جهازَ «الدِّشّ منبع الرذيلة والفساد» حفظَ الأمانة؟!

هل من ترك أبناءَهُ لتربية الخادمات في الصِّغَرِ، وللطرقاتِ فيما قبل الشباب، وللسفر والضياع في الشباب، هل ترىٰ هـٰذا النموذج ضيَّع أو حفظ الأمانة؟!

وهل ترىٰ من ترك بناته ومن ولاَّه الله عليهم يتجوَّلْنَ بالأسواق صباحًا ومساءً بدون حجاب.. بدون رقيب ولا حسيب، هل هـٰذا غش رعيته أم حافظ عليها؟!

إني أرىٰ فيك عقلاً راجحًا، وعلمًا ثاقبًا، وحبًّا لصلاح أبنائك، فَمِنْ أي الفريقين أنت؟! ولِكيْ تكتمل الصورة لديك أُذكِّرك بقول المصطفىٰ ﷺ: «ما من مسلم يسترعيه اللهُ رعيَّةً يموتُ حين يموتُ وهو غاشٌّ لرعيَّته إلاَّ حرَّم الله عليه الجَنَّةَ»!!.

ويزيدُ الأمرُ خطورةً عندما تعلمُ ـ أخي ـ أنَّ صَرْحًا من صروح العلم، وهو فضيلة الشيخ: محمَّد بن عثيمين ـ رحمه الله ـ قال: إنَّ مَنْ جَلَبَ الدِّشَّ لأبنائه، فهو غاشٌّ لرعيته، ويُخْشَىٰ عليه أن يشمله هـٰذا الحديثُ؛ فَيُحْرَمُ الجنَّةَ ـ والعياذ بالله ـ فكيف تفرِّط بالجنة بِعَرَضٍ من الدنيا قليل؟!.

القصة الرابعة
وحَسْبُ المنايا أن يكُنَّ أمانيا

نعم تمنَّاها ذٰلك الرجلُ المسكين الذي جاوز الستِّين من عمره عندما جاءه خبرُ ذٰلك الحادثِ المروريِّ علىٰ ابنَتَيْهِ، وهما في عمر الزهور.

الأولىٰ: زواجها بعد شهر، والأخرىٰ: تنتظر فارس الأحلام.

أقبل ذٰلك الرجلُ وهو يصرُخُ بأعلىٰ صوته: ماتَتْ.. مَاتَتْ... ولٰكنَّ أختها لا تزال في المستشفىٰ.

وعندها يرفعُ يدَيْهِ يا ربِّ.. يا ربِّ.. يا ربِّ.. أتدري بماذا يدعو؟! هل تظنُّ أنَّه يدعو بشفاء ابنته بعدما فُجِعَ بموت أختها؟! الواجبُ أن يكون كذٰلك؛ ولٰكنْ كلُّ هـذا لم يحدُثْ فقد تغيَّرتْ كلُّ المقاييس، وتحطَّمتْ كلُّ العواطف، وذابتْ أمام العار شفقةُ الأب على ابنته، وحرقةُ الوالد علىٰ موت ابنته، كلُّ هـٰذه الكلمات ذهبَتْ هباءً عندما اصطدمَتْ بحقيقةِ الكارثة..

أتدري ما دعاءُ الرجل؟! إنَّه كان يدعو علىٰ ابنته المصابة بالموتِ؛ فاستجابَ اللهُ نداءَهُ؛ فما هي إلاَّ لحظاتٌ حتىٰ وصله الخبر أنَّها ماتَتْ؛ فحمد الله واسترجع؛ ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾!

ولـٰكن ما قصة الأختين؟!

وما الذي جعَلَ أبوَيْهما يتمنَّىٰ ويدعو الله أن يميتهما؟!

إنَّه العار.. إنَّه العِرْض.. الذي لطخته نزوةٌ شيطانية من فتاة مراهقة لم تكنْ تظنُّ أنَّها في يوم من الأيام ستكونُ سببًا في هـٰذه الكارثة.. ولـٰكن: معظمُ النَّارِ من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَر. هـٰذه الفتاةُ - وكم مثلها كثيرٌ! - إنْ لم تبادرْ بالتوبة ربَّما أنْ يكون لها نفسُ المصير.

إنَّ هـٰذه الفتاة جعلَتِ المنيةَ لأهلها أمنية، والحياةَ ذميمة لا تطاق.. لو لم يكنْ من هـٰذه المأساة إلاَّ هـٰذه الأمنية، لكفىٰ بها شاهدًا علىٰ هولها!!.

كَفَىٰ بِكَ داءً أنْ ترىٰ الموتَ شافيًا
وَحَسْبُ المَنَايَا أن يَكُنَّ أَمَانيا

تعرَّفتِ الفتاةُ الكبرىٰ علىٰ شابٍّ - وقُلْ إنْ شئتَ: علىٰ

ذئب ـ ودارتِ العلاقةُ اتصالاتٍ هاتفيةٍ في ساعات متأخِّرة من الليل.. تبادل للعواطف.. مداعبة للمشاعر.. تأجيج للشهوة.. كانت هـٰذه الخطواتُ الأولىٰ..

ولـٰكنْ هل بقي الأمرُ علىٰ ذٰلك؟! كَلاًّ فقد نقلهم الشيطان إلىٰ الخطوة التي بعدها.. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾.

فقد ضُرِبَ الموعد، وحدِّد المكان والزمان؛ إنَّه لقاءُ الأحبة الذي تتوقُ إليه النفوس المريضة، ويخطِّط له الأوغادُ حتىٰ إذا وقعَتِ الفريسة في الشباك، أمسَكَ زمامَ الأمور بيده... وباع واشترىٰ في عِرْضِ المخدوعة البلهاء كيفما شاء.. وغيرها كثير..

خرجا مرارًا وتكرارًا، ولا تسألْ عمَّا وراء الخروج؛ فالنتيجةُ معروفة.. وهل توقَّف الأمر إلىٰ هـٰذا الحد؟! كَلاًّ! ولـٰكنْ مَنْ كان علىٰ فساد يريد أن يكون كلُّ الناس علىٰ نفس طريقه، فانتقلتِ العدوىٰ إلىٰ أختها الصغرىٰ التي ما لَبَثَتْ أن

تجاوَبَتْ معها.. كيف لا؟! إنَّه لقي قلبًا خاليًا مِنْ ذِكْرِ الله والإيمان به؛ فتمكَّن؛ وكما قيل:

أتاني هواها قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهوىٰ
فَوافَقَ قلبًا خاليًا فتمكَّنا

وفي مغامرة من مغامرات الأخت الكبرىٰ في الخروجِ مع عشيقها، اصطحَبَتْ أختها الصغرىٰ معها؛ لتطبِّق لها الدروسَ النظرية عمليًّا، فركبا مع العشيق، وليتهما ما رَكِبَا، فانطلق المشؤومُ يسابقُ الريحَ بسيارته، فلقدْ أصبَحَ عنده بدلَ الفريسة فريستان، وبدل العشيقةِ عشيقتان، ولٰكنَّ الله يُمْهِلُ ولا يهمل.

ففي الطريق تصطدمُ هٰذه السيارة بسيارة أخرىٰ، فتموتُ الكبرىٰ في الحال، وتُنْقَلُ الأخرىٰ إلىٰ العناية المركَّزة، وَيَسْلَمُ فارسُ الأحلام ـ بل قُل: لصّ الليل ـ نقلت الصغرىٰ إلىٰ العناية المركَّزة يشيِّعها مئات الدعوات من أبيها وأهلها، بأنْ لا يبقيها الله، وأنْ يُلْحِقها بأختها.. إنَّهم لا يستطيعون رؤيةَ أو معايشةَ من دنَّست عرضهم، ودسَّت رؤوسَهُمْ في التُّراب.. إنَّ هٰذا الأمر مستحيلٌ.. فاستجابَ اللهُ دعوة

مكلوم، ودعوةُ الوالد علىٰ ولده لا تُرَدّ . .

وأُسدِلَ الستار علىٰ مسرحية دامية، فلا زواجَ بعد شهر، ولا فرحَ مدىٰ الدهر؛ فلقد راح ضحيةَ تلكم المغامرة . . سمعةُ أسرة . . وشرفها . . و . . و . .

وحَسْبُ المَنَايَا أن يكُنَّ أمَانِيَا

وقفات تأمُّل

الوقفة الأولىٰ:

أختي الفاضلة، يقول حبيبنا المصطفىٰ، ونبيُّنا المجتبىٰ، الذي لا ينطق عن الهوىٰ: «المرء علىٰ دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يُخَالِل»، فقولي لي مَنْ صديقتُكِ، أَقُلْ لك: من أنتِ.

وقال الشاعر:

عن المرءِ لا تسألْ وسَلْ عن قرينه
فكلُّ قَرِينٍ بالمقارن يَقْتَدِي

انظري ـ يا رعاكِ الله ـ كيف نكبَتْ أختٌ شقيقتَهَا؛ لتكونَ معها علىٰ طريق الفساد؟! أليس في هـٰذه القصة رداعٌ وواعظٌ لإعادة الحسابات، وتمييز الطيب من الخبيث؛ فإياكِ ثم إياكِ مِنْ صديقاتِ السوء؛ فإنَّ شيطان الإنس أشدُّ علىٰ الإنسان من شيطان الجن.

وصديقةُ السوء هي كلُّ من زيَّنَتْ لَك الباطلَ وَدَعَتْكِ إليه، ويسَّرته لك؛ فهـٰذا رَقْمُ فلان، وهـٰذا خطابُ فلان، وهـٰذه

صورة فلان . . بِدعوىٰ التحررُ والمدنية . . وفي الحقيقة . . إنَّما تدعوك إلىٰ الهاوية . . وإلىٰ خسارة الدارين . . فتمهَّلي واعتبري .

فإنَّ العاقل مَنْ وُعِظَ بغيره .

فإنْ أردتِّ أن تكوني مغضوبًا عليكِ من الله ، منبوذةً في مجتمعكِ ، مكروهةً من أهلك ، فاسلكي هٰذا الطريقَ الموبوء الذي نهايتُهُ معلومةٌ ومحتومة لكلٍّ من تمادىٰ فيه . .

وإنْ أردتِّ الآخرةَ ، فعليكِ بأمر الله ونهيه قبل أن تقولي :

﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾
﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ ﴾

القصة الخامسة
خضراء الدمن

كان كلُّ شيء طبيعيًا في ذٰلك البيت الصغير الذي لم يَمْضِ علىٰ إنشائه عامٌ واحد، والمتكوِّن من زوجٍ في مقتبل العمر، يكدَحُ في الصباح، ويحلُمُ في المساء ـ كما يحلُمُ الكثيرون ـ أن تكونَ له أسرةٌ وأبناء، ويمضي عمره في سعادة وهناء.. أحلامُ يقظة ليستْ إلاّ.. وإلاّ.. فمَنْ أراد السعادة فليسلُكْ مسالكها.. فإنَّ السفينة لا تجري علىٰ اليَبَس.. وكان لهٰذا البائسِ الحالمِ المسكين امرأةٌ جميلةُ المظهَرِ، خبيثةُ المخبر.. إنَّها خضراءُ الدِّمَن.. إنَّها النتيجةُ الحتميَّة لِتَرْكِ وصية المصطفىٰ ﷺ: «إيَّاكم وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «المرأة الحسناءُ في المَنْبَتِ السُّوء»؛ إنَّها وصيةُ مَنْ لا ينطق عن الهوىٰ القائل: «فاظفَرْ بذاتِ الدين؛ تَرِبَتْ يَدَاكَ»، ولٰكنْ لا حياة لمن تنادي!!

اختار هٰذا الشابُّ ـ كغيره ـ امرأةً جميلةً، طالبةً جامعية.. أليس هٰذا حُلْمَ الكثير؟! أصبح هٰذا المسكينُ

سائقًا لزوجته.. روتين ممل يستيقظُ الصباح يوصِّل زوجته إلىٰ الجامعة، ثم يذهبُ إلىٰ عمله؛ ومِنْ ثَمَّ يعودُ إليها بعد الظهر،،، وهـٰكذا دَوَالَيْك.

وفي ذٰلك اليوم الذي أراد اللهُ فيه ما أراد، أحضَرَ زوجتَهُ إلى الجامعة كالعادة، ثم ذهب إلىٰ عمله، وبعد ساعة فقطْ، وإذا الهاتفُ يَرِنُّ في عمله، وإذا علىٰ الطرف الآخر.. رجلٌ من رجال الأمن:

السلام عليكم.. وعليكم السلام.

أَنتَ الأخ فلان؟ نعم أنا هو!! فلانة ماذا تقرب لك؟ إنَّها زوجتي!! كرمًا.. الحضور إلىٰ مستشفىٰ.. ماذا جرىٰ؟! ماذا حدث؟! لا الأمرُ بسيط.. لـٰكنْ أسرِعْ إلينا..

وضع السماعة... خرَجَ المسكين ينهبُ الأرضَ نهبًا بسيارته.. وقد تزاحمَتِ الخيالات في رأسه..

وما إنْ وصل إلىٰ المستشفىٰ حتىٰ ترك سيارته في موقفِ غيرِ نظاميٍّ، ونزل منها وهو يركُضُ كالمجنون..

دخلِ الطواريء، فوجد رجال الأمن!! ما الخبر؟

أدخَلُوه إلىٰ غرفة الإسعاف في الطواريء.. يا للهول..

إنَّها زوجتُهُ التي أحضرها إلىٰ الجامعة قبل قليل. . وقد غطَّت الدماء وجهها!! وهي تئِنُّ تحت وطأة الآلام المبرِّحة التي عمَّت جميعَ جسدها لكثرة ما أصابها. . ولٰكن ألم الفضيحة أدهى وأمرّ.

أخذ يصيحُ ويصرُخُ. . . ماذا حدث؟

انتحىٰ به ضابطُ الأمن جانبًا.

ما الخبر أيها الضابط؟ فأخبره بما حدَثَ.

ها!! تلعثم لسانه. . مادَتْ به الأرض. . دارت به الدنيا. . أَخَذَ يجري ويصرُخُ راكضًا تجاه زوجته غير مصدِّق خيانتها له.

ووسَطَ سيل منهمر من السباب والشتائم، وجَّه لها طعنةَ الانتقام لكرامتِهِ المُهْدَرة. . . أنتِ طالق! ثم أتبَعَهَا ببصقة الوداع علىٰ وجهها الدامي، ومضىٰ تاركًا لها كلَّ هٰذا الهوان والضنك. . كلَّ هٰذه الآلام!!

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهوانُ عليه
ما لِجُرْحٍ بِميِّتٍ إيلامُ!

آلام الإصابة. . مرارة الفضيحة. . الطلاق. . وفاة

العشيق.. وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾؛ مصيرُ الإعراض عن القانون الإلـٰهيّ الذي يحكم العلاقة بين الجنسين: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾، ولأنَّ النظرةَ سَهْمٌ من سهام إبليس؛ كما يقول الصادق المصدوق، صلوات ربي وسلامه عليه.

وعود علىٰ بدء، فلقد نظرَتْ يومًا إلى أحد الشباب، ونَظَرَ إليها حتىٰ تراشقَتْ سهامُ الهوىٰ، ووُجِدَتْ أفئدةٌ خالية فاستقرَّت.

فبعد النظرة كانتِ الابتسامة، فالسلام، فالكلام، وتبودلتِ الأرقام، وضُرب الموعد، وكان اللقاءُ صبيحةَ كلِّ يوم بعد أن يأتي بها زوجها، وبدلاً من دخول الجامعة تهوي في بئر الرذيلة، وتستبدلُ المحاضرات العِلْمية بمحاضراتِ في اغتيال العِفَّةِ وسوءِ الأخلاق؛ يَعْمَلُ فيها إبليسُ أُستاذًا ورئيسَ قسم حتىٰ قُبَيْلَ الظهر يعيدها العشيق إلىٰ الجامعة، لتعودَ مع الزوج المخدوع إلىٰ المنزل.

ولأنَّ الناقد بصير وهو يمهل ولا يهمل، فقد شاء الله سبحانه أن يكون ذٰلك اليومُ هو سوءَ الخاتمة، وأنْ يفتضحَ أمرُ إبليس وأتباعه، فتنقلب السيارة وهما في طريقهما إلىٰ مخدع الخنا؛ فتوفِّي العشيق في مكان الحادث، وأصيبَتْ هي بإصابات بليغة نُقِلَتْ علىٰ إثرها إلى المستشفىٰ.. وقد خسرا كلَّ شيء، ويا ليتَ شعري هل يعي الكثيرون مثل هٰذه العبرة؟!.

وعضَّت الزوجةُ أصابعَ الندمِ؛ ولٰكن لا ينفعُ الندم، وعلىٰ نفسها جَنَتْ براقش.

وفي تلك المدينة الصاخبة أُسْدِلَ الستار علىٰ هٰذه القصة المفجعة؛ فهل من معتبر؟!

وصدق المصطفىٰ ﷺ: «إيَّاكُمْ وخضراءَ الدِّمَن»!.

القصة السادسة
اللعب بالنار

كانت البداية مثلها مثل أكثرِ البدايات المشبوهة. ولكلِّ بداية نهاية، ولكلِّ نابتة ثمر، ولكلِّ فعلٍ ردُّ فعل.

نَظْرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

إنَّها المَصْيَدة التي تقع فيها الساذجاتُ من الفتيات: إما لقبحها وتعيير الناس لها بأنها غيرُ جميلة، أو لغرورها بجمالها ورغبتها في ثناء الناس عليها، أو لتأثُّرها بقصص الحب التي شاهدتها علىٰ الشاشة الفضيَّة أو تقرؤها صباحَ مساء.. بعضُ هـٰذه الدوافع دفعتْ تلك الفتاةَ الجميلة ذاتَ الثمان عشر ربيعًا، والتي تدرس في المرحلة الثانوية، لتربطَ علاقة غير شرعية مع ذٰلك الشابِّ الذي يكبرها بعامٍ أو عامَيْن.

وفي غفلة من الأهل تخرُجُ هـٰذه الفتاةُ كلَّ ظهيرة من منزلها علىٰ حين غفلة من أهلها بِحُجَّةِ أنّها تذهبُ إلىٰ زميلتها لتذاكر معها ـ ولا أدري كيف تنطلي هـٰذه الحجَجُ الواهية علىٰ أهلها ـ واستمرَّتْ علىٰ ذلك أيامًا إن لم يكن شهورًا،

تخرُجُ من الحي الذي تسكُنُ فيه إلى الشارع العامّ، لتركَبَ مع فارس الأحلام إلىٰ مكانٍ مَّا، والثمرة معروفة.

ضاربةً عُرْضَ الحائط بكلِّ القيم والمباديء والأخلاق؛ بل والدين والشرف الرفيع الذي يبذُلُ أهلها من أجله كلَّ غالٍ ونفيس، ولـٰكنه سُكْرُ الهوىٰ يُعْمِي البصر والبصيرة، وإلاَّ أليست النهاية المأساوية متوقَّعة؟! بلى.. ولـٰكنَّ الشيطان هوّن لها الأمر.. وفي ظهيرة أحد الأيام الحافلة بالمغامرة والفجور، رَكِبَتْ مع ما تسمِّيه صديقها، وأهلُهَا يغطون في نومٍ عميقٍ: نوم الضمير بأن هيئوا لها كلَّ أسباب الانحراف، ونومِ الرقيب الَذي تَرَكَ الحبل علىٰ الغارب؛ وذٰلك قبلَ نوم الأبدَان..

انطلق فارس الأحلام بالغنيمة مسرعًا كعادته؛ فوقت الظهيرة قصير، ويجبُ أن تعود الفتاة إلىٰ منزلها العصرَ قبل استيقاظ الأهل.

ولـٰكنْ في الطريق حدَثَ مالم يكنْ في الحسبان؛ فلقد اعترضَتْ شاحنةٌ طريقيهما لترتطمَ سيارةُ الشابِّ بكل سرعتها في مؤخرة الشاحنة.

فكانت هذه الصدمةُ صفعةً شديدةً جدًّا على وجه الشابِّ الَّذي تهشَّم رأسه، وتناثر دماغه، وجرىٰ دمه كالنافورة، سكنَتْ أطرافه.. قلبه.. كل شيء فيه سكن؛ لقد فارق الحياة على هذه الحال، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

أما الفتاة: فقد كانتِ الصدمة عليها أخفَّ؛ فلقد تحطَّم وجهها الجميل؛ فلم يعد جميلاً، وتساقطَتْ أسنانها اللؤلؤية، وانهارَ في داخلها ذلك الحُلْمُ الذي بنته، والقصرُ الذي شيَّدته، لقد انتهىٰ كلُّ شيء، ما أشنَعَ اللطمة على نفسها وهي ترى حبيبها أشلاءَ ممزَّقةً، إنها لا تصدِّق، ولكنَّها النهاية الحاسمة، والصدمة القاصمة.

نُقِلَتْ إلى المستشفى وهي تتجرَّع مرارة الألم، وهول الصدمة، وعار الدهر، وفضيحة الأبد، لقد لطَّخَتْ شَرَفَ أسرتها.. مات الصديق، وحل العار، وذهب الشرف، فأيُّ مصيبة هذه؟! إنَّها كارثةٌ تقف أمامها كلُّ اللغات عاجزةً عن وصفها، والتعبيرِ عنها، لكنَّها الحقيقة.. أخذَتْ تصيح.. تصرُخُ.. وفي كل صرخة مِنْ صرخاتها رسالةٌ إلى اللاعباتِ بالنار.

فمتى يصحو السكرانُ مِنْ سَكْرته؟! ومتى يفيقُ الغافل من غفلته؟! ومتى يتدارَكُ المهملُ أسرته؟! أبعد هذه العبرةِ عِبَر؟!.

إذا كان ربُّ البيتِ بالدُّفِّ ضاربًا
فشيمةُ أهلِ البيتِ كُلِّهِمُ الرَّقْصُ

رسـالـة
إلىٰ كلّ أبٍ وأم، وفتاةٍ وفتى

رسالتي الأولى إلى الوالد العزيز:

إن أبطال هـٰذه القصص لم يخرجوا إلى الدنيا وهم علىٰ هـٰذه الحال، ولكنها خطوة فخطوة يستدرجهم بها الشيطان حتىٰ وقعَتِ الكارثة؛ وصدق الله حين قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

فيا منْ ضيَّعْتَ الأمانة، أين أنتَ يومَ بدأتِ ابنتُكَ الخطوة الأولىٰ في الانحراف، أغرَّك ما يدَّعيه دُعاة الغَرْب وأذنابُهُمْ من التحرُّر والحرية والسفور، أم وَصَلَ بك الحدُّ من الضعف حتىٰ لا تستطيعَ أن تقولَ في مملكتك الصغيرةِ للخطأ: خطأ، وللمخطيء: أخطأْتَ! أم أنَّ الغَيْرة عندك انطفأَ أُوَارُهَا، ومات سناها؛ فأصبحْتَ لا تبالي، فإنْ كنتَ كذٰلك، فاشرَبْ كأس العار مُتْرَعة، كأسًا سكبتها لك الدعاياتُ البرَّاقة،

والوعودُ الزائفة، فأين الَّذين قَتَلُوا فيكَ الغَيْرة بدعوىٰ التحرُّر؟! هل أجدىٰ إليك نعيقُهُمْ من شيء؟! أَتُرَاهُمْ بدعواهم يُعيدون لك الحياء الذي مزِّق، والشرفَ الذي لُطِّخ؟! لا تلُمْ إلاَّ نفسك!! «يداكَ أوْكَتا، وفُوكَ نَفَخ»!!.

واسمَعْ ـ يا رعاك الله ـ صرْخةَ ابنتك، فهلاَّ أرعيتها أذنك قبل أن ينتحر العفاف، وقبل أن تندَمَ ولاتَ ساعة مَنْدَم.

كفىٰ لومًا أبي أنتَ المُلاَمُ
كفاكَ فلم يَعُدْ يُجْدِي المَلاَمُ
بأيِّ مواجعِ الآلام أشكو
أبي مِنْ أينَ يُسْعِفني الكلامُ
أنا العذراءُ يا أبتاهُ أمسَتْ
علىٰ الأرجاس يُبْصِرُهَا الكرامُ
سهامُ العَارِ تُغْرَسُ في عفافي
وما أدراكَ ما تلْكَ السِّهامُ
أبي مَنْ ذا يَغُضُّ الطَّرفَ عنِّي
وفي الأحشاء يختلجُ الحرامُ

أبـي مَـنْ ذا سَيَقْبَلُنـي فتـاةً
لهـا فـي أعيُنِ النَّاسِ اتِّهَـامُ
جراحُ الجِسْمِ تَلتئمُ اصطبارًا
وما لِلْعِرْضِ إنْ جُرِحَ التئامُ!
أبـي هـٰذا عفافـي لا تَلُمْني
فمِـنْ كَفَّيْـكَ دنَّسـه الحـرامُ
زرعْـتَ بـدارنـا أطبـاقَ دِشٍّ
جنـاهـا يـا أبـي سُـمٌّ وَسَـامُ
نـرىٰ الإغـراءَ راقصـةً وكـأسًـا
وعُهْـرًا يـرتقـي عنـه الكـلامُ
فلـو للصَّخْـرِ يـا أبتـاه قلـبٌ
لثار؛ فكيفَ يا أبتِ الأنامُ؟!
تخاصمني علىٰ إنقاضِ طُهْري
وفيك اليومَ لو تدري الخِصَامُ!
نَـدِمْـتُ نـدامـةً لـو وزِّعـوهـا
علىٰ ضُلَّالِ قومي لاستقاموا

إلـٰهـي إنْ عَفَـوْتَ فـلا أبـالـي
وإنْ ألقـىٰ مـن النَّـاس الكِـلاَمُ
أبــي حَطَّمْتَنِــي وأتيْــتَ تبكــي
علىٰ الأنقاضِ ما هـٰذا الحطامُ؟!
أبي هـٰذا جَنَاكَ دماءُ طُهْرِي
فمَنْ فينا ـ أيَا أبتِ ـ المُلاَمُ؟!

فليحذَرِ الآباء الذين يُخْرِجون أنفسهم عن دائرة الخطأ، وكأنهم وأبناءهم ملائكةٌ نَزَلُوا من السماء؛ فلا يتوقَّع منهم ذنبٌ ولا خطيئة! كلاًّ لا هـٰذا ولا ذاك؛ فكل ابن آدم خطَّاءٌ، وكلنا ذوو خطأ، وكلُّنا ذلك الرجل.

فالبِدَارَ البدارَ قبل فواتِ الأوان، راجعْ نفسك، عُدْ إلىٰ منزلك أمسِكْ زمامَ الأمور بحزم وحكمة قبلَ أن ينكسر المركَبُ، وتغرق السفينة؛ فإنَّك في بحر لُجِّيٍّ واعلم أنَّ مسيرة الألف مِيلٍ تبدأ بخطوة.

الرسالة الثانية:

لك أنتِ ـ أيتُهَا الأم ـ أهمسُ في أذنك؛ لأنك أنت أمينة سَرِّ ابنتك؛ لأنَّ صلاحَ الأمِّ صلاحٌ لابنتها، كفىٰ بكِ حمقًا وغرورًا، حتَّىٰ متى وأنت تَعْرِضين ابنتك دُمْيَةً في المحافل والحفلات؛ تريدين أن يشار إليها بالبنان: إنَّها.. وإنها.. فكم من أمٍّ تأمُرُ ابنتها بالتبرُّج والسفور ـ وخاصَّةً في الأفراح والمناسبات التي يذْبُلُ فيها الحياء، عند من لا حياء لهم ـ حتىٰ يتحدَّث النَّاس عن جمالها، ويضربَ المثل في دلالها إنه بحثٌ عن الشهرة في غير مظانِّها، وإذا بدا لكِ من ابنتك انحرافٌ، أخفَيْتِ ذٰلك عن والدها، فإن كنتِ كذٰلك، فإنَّك قد وضعْتِ قدمك وقدم ابنتك علىٰ أول الطريق.

أتدرين أيَّ طريق؟ إنَّه طريقُ الهاوية؛ فيا مربية الأجيال، أفيقي قبل فوات الأوان؛ فإنَّ:

الأمُّ مـدرسـةٌ إذا أعـددتَّهـا
أعدَدْتَ شعبًا طيِّبَ الأعراقِ

الرسالة الثالثة:

إليك يا أيها الشابُ الفَطِن، إليك أيُّها الفارسُ المغوار، ولا تظُنَّ أنَّك فارسٌ في ساحات الوغىٰ، كلا ولٰكنِ اسمَحْ لي إنْ واجهتُكَ بالحقيقة ولو كانَتْ مُرَّةً؛ إنَّك فارسٌ في ساحات الرذيلة والخنىٰ!! كم مِنْ مسْكينة غرَّرْتَ بها! كم من منزلٍ هتكْتَ عِرْضه! كم من فتاةٍ دَنَّسْتَ عرضها، ونَحَرْتَ عفتها! كم من قصر هدمته! وكم من أسرةٍ أسقيتها كأسَ الهوان بعد العز والعار بعد الشرفِ! أَتظنُّ هٰذا الفعلَ سيذهبُ سُدًى؟! كلا! ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾.

أما تستحيي من الله؟! أما تخشاه؟! أما تخشىٰ أن يبتليك الله في عِرْضك فإنَّه كما تدينُ تُدَان؟! كيف حالك إذا استُدْعِيتَ في قسم من أقسام الهيئة أو الشرطة؛ لترى الجريمة في أهلك؟! أم كيف حالك لو وقعْتَ أنتَ في أسوأ أعمالك؟! أم كيف حالك إذا فارقتَ الدنيا وأنت في خلوة فاضحة؟! فإنَّ منْ عاش علىٰ شيء مات عليه، ومن مات علىٰ شيء بُعِثَ عليه، وعندها يُنادىٰ عليك يومَ العرض الأكبر يوم يَجْمَعُ الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم.

فيناديك المنادي ـ أمامَ الخلائق أجمعين ـ: قُمْ يا فلان ابن فلان بأقبح أسمائك: الزاني، الفاجر المعاكس، هل تساوي هذه الشهوة ـ التي لا تتجاوز ساعاتٍ أو سويعاتٍ ـ العذابَ الأليم الدائم في نار جهنَّم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ أين عقلك؟! أين فكرك؟! أين بَصَرُكَ؟! أجننْتَ فلم تعدْ تدركُ الحقائق، أم عَمِيتَ فلم تعد تبصر المصائر، أم ذَهَبَ سمعك فلم تَعُدْ تسمعُ مصيرَ من سار مسيركَ؟!

أفق ـ أخي الفارس ـ قبل فوات الأوان؛ فإنَّ بابَ التوبة مفتوح.

واسمعْ أخي ـ بارك الله فيك ـ الإمامَ الشَّافعيَّ ـ رحمه الله وهو يناديك:

عِفُّوا تَعِفَّ نساؤكم في المَحْرَمِ
وَتجنَّبُوا مـا لا يَليـقُ بمُسْلِـمِ
يا هاتكًا سُبُلَ الرجالِ وقاطعًا
سُبُلَ المودَّةِ عشْتَ غيْرَ مكرَّمِ
لو كُنت حُرًّا من سلالَةِ ماجِدٍ
ما كُنْتَ هتَّاكًا لِحُرمةِ مسلم
مَنْ يَزْنِ يُزْنَ به ولو بجِدَارِهِ
إنْ كنْتَ يَا هـٰذا لبيبًا فافهمِ
مَنْ يَزْنِ في بيتٍ بِألْفَيْ دِرهَمٍ
فِي بيتـهِ يُـزنَـى بِغَيْـرِ الـدِّرْهَـمِ

والرسالة الأخيرة إليك أنتِ:

يا أيتُها الوردةُ اليانعة، احذري فكم من وردة وطئت بالأقدام ويا من جرىٰ في دمها الحياء، وهذَّبَ نبضها الإيمانُ حتىٰ أصبحتُ قِنْدِيلاً يتلالأ، لا تُطْفيءِ هـٰذا النور؛ فإنَّه لن يوقد مرَّة أخرىٰ؛ ققي قليلاً، استعرضي كلَّ ما قرأتيه من قصص، هل كان يدورُ بِخَلَدِ إحداهنَّ أَنَّ الأمْر سَيؤُول إلىٰ هـٰذا الحد؟!.

أختي بنيَّتي ـ رُبَّما كان الهزل هو المخيِّم علىٰ حياتك؛ فهلاَّ أصغَيتِ إليَّ بأذنيك بل بكلِّ جوارحك، إنَّني لا أريد إلاَّ دقائق معدودةً من عمرك المديد، تخرجين فيها من ساحة الهَزْل إلىٰ مخيَّم الجد، كي أبث إليك أنيني، إنها أنّات قلب مجروح عايَنَ الأمر علىٰ حقيقته، وليس الخَبَرُ كالمعاينة، وليس راءٍ كمن سمع.

أيْ بنيتي: ماذا يريد منك المعاكس وهو يستدرِجُكِ إلى اللِّقاء، ويزيِّن لك حلاوتَهُ، وَيُغْرِيكِ بالزواج؟!.

أتدرين ماذا يريد؟!

إنَّه مهما تشدَّق بكلامه المعسول، وألفاظِهِ الرنَّانة، ومهما

أقسَمَ ووعد، ويكىٰ واجتهد؛ فإنَّه والله وبالله وتالله، لا يريد منك إلاَّ حاجته التي أنت تعرفينها، ثم يرميك كما يُرْمَىٰ العلكُ بعد حلاوته، ثم لا يبالي بكِ في أيِّ وادٍ تهلكين؟!.

أختي الفاضلة، ما سمعنا بشابٍّ رَبَط حياته بعاهرة نعم! إنَّ هـٰذا هو اسمُكَ فيما لو أجَبْتِ نداءَهُ، مهما تغيَّرت الأسماء، وسميت الأمور بغير اسمها، تبقى الحقيقة التي لا مرية فيها.

إن أثمن شيء عند الفتاة عفَّتها وشرفها ودينها؛ فكيف تبيعين كل ذٰلك بأبخس الأثمان؛ بَنَزْوة عابرة، وشهوةً سافلة، تُورثك ذلَّ الحياة وعارها، وبئس الآخرة ونارها.

فالعفةَ العفةَ، والسكينة السكينة؛ فإنَّ من تعجَّل شيئًا قبل أوانه، عوقب بحرمانه.

أيّه بنيتي، أوَتعلمين أنَّ الجريمةَ الكبرىٰ هو جريمةُ الزنَىٰ؛ فهو من السبع الموبقات، وعقوبتُهُ أشدُّ عقوبة في الشرع، مهما تهاون الفُسَّاق في أمره وعرض علىٰ ناظريك في القنوات والمجلات، إنَّه العار الذي يهدم البيوتَ الرفيعة، ويطأطيء الرؤوس العالية، ويسوِّد الوجوه البِيض، ويُخْرِس

الألسنة البليغة، ويهوي بأطول النَّاس أعناقًا وأسماهم مقامًا وأَعْرقهمْ عزًّا، إلى الهاوية من الذل والازدراء والحقارة ليس لها من قرار.

وهو أقدرُ أنواع العار علىٰ نزع ثوب الجاه مهما اتَّسع وهو لطخةٌ سوداء إذا لحقت أسرة غَمَرتْ كلَّ صحائفها البيضاء، وتركت العيون لا ترىٰ منها إلاَّ سوادًا حالكًا، إنَّه العار الذي يطولُ عمره؛ فتتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل؛ بلا ذنبٍ جَنَوْه، ولا إثمٍ اقترفُوه، فَقُوتِلَ مِنْ ذَنبٍ وقوتلَ فاعلُهْ.

أيَّه بنيتي، إنْ كان غرَّكِ بريقُ الساقطات، وزي الراقصات وحياةُ المومسات، فاسمعي إلىٰ أقوال بعضهنَّ:

تقول الكاتبة الأمريكية هيلين ستانبري:

«إنَّ المجتمع المسلم مجتمعٌ كاملٌ وسليم، ومن الخليق بهـٰذا المجتمع أن يتمسَّك بتقاليده التي تقيد الشابَّ والفتاة؛ ولهـٰذا أنصَحُ بأن تتمسَّكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة؛ بل ارجعوا إلىٰ عصر الحجاب؛ فهـٰذا خيرٌ لكم من الإباحيَّة والاختلاط والانطلاق ومجون أوربا وأمريكا».

وتقول الممثلة المشهورة برجيت باردوا:

«كنتُ غارقة في الفساد الذي أصبحْتُ في وقتٍ رمزًا له، لكنَّ المفارقة أنَّ النَّاس أحبُّوني عاريةً، ورجموني عندما تُبْتُ عندما أشاهدُ الآن أَحَدَ أفلامي السابقة، فإنني أبصق علىٰ نفسي، وأقْفِلُ الجهاز فورًا؛ كم كنت سافلةً!!

قمةُ السعادة للإنسانِ الزَّواجُ إذا رأيتُ امرأةً مع رجل ومعهما أولادُهُمَا، أتساءَلُ في سري: لماذا أنا محرومةٌ من مثل هـٰذه النعمة». انتهىٰ كلامها.

والحقُّ ما شهدتْ به الأعداءُ.

أختي المسلمة، إنَّ الله لم يفرض الحجابَ عليك إلاَّ لكي يحفَظَ كرامتَكِ وعفَّتك، ودينَك وشرفك من أن تدنِّسه الكلاب، أو تلعَبَ به الذئاب، ولن ينفَعَ اللهَ حجابُكِ، ولن يضرَّهُ سفُوركِ؛ فإنَّ الله لا تضرُّهُ معصية العاصين، ولاتنفعه طاعةُ الطائعين.

أختي، لِمَنْ وجَّهَ هـٰذه الخطابُ من ربِّ الأرباب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٩]؟!.

ولمن أُرسلَتْ هـٰذه الرسالة:
﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]!!

أليستْ موجَّهةً إليك؟!

أمْ مَنِ المخاطَبُ في هـٰذه الآية: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ ﴾ [الأحزاب: ١٠]!

ألسْتِ أنتِ؟!

فما بالُ الآذان صُمَّتْ عن أمر الله وفتحت لغيره؟!

ما بالُ النفوس أذعنَتْ لأمْر الشيطان وأحجمَتْ من أمْرِ الرحمـٰن.

فيا للهِ العجب؛ ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلىٰ: ١٦، ١٧].

أيْ بنيتي، اعلمي أنَّ الفتاة ليست كالفتىٰ؛ فإنَّك مثل القارورة إذا انكسرتْ فلا سبيل إلىٰ إعادتها، والمجتمعُ لا يَرْحَمُ، والنَّاسُ لَهُم أعين وألسن.

فحذارِ حذارِ أن تكوني سكِّينة ينحر به عفاف أهلك وقبيلتك، وأمك وأبيك وإخوتك، ولا يغرُرْكِ جميلُ ستر الله

عليك ؛ فإنَّ الله يُمْهِلُ ولا يهمل ؛ ولتسمعي هـٰذه الأبيات في خاتمة رسالتي إليك :

تهاوىٰ الليلُ وائتَلَقَ المساءُ وهـزَّتْني الأُخُـوَّةُ والإبـاءُ
فبتُّ أردد الأبيات حزنًا فطابت لي وطاب لي الحداءُ
وما اهتزْتُ من طربٍ ولـٰكنْ يَهُزُّ المرءَ فَرْحٌ أو شقاءُ
وكيف يطيب لي فرحٌ وقلبي كأنَّ عليه أطْبَقَتِ السماءُ
أأبكي أُمَّتِي ياليْتَ شعري وهلْ يُجْدِي التأوُّهُ والبكاءُ
أطاحَ بعرشها العالي بَنُوهَا وسالَتْ فوق هامتها الدِّمَاءُ
شوامخُ عزَّةٍ سادتْ وبادَتْ فغَابَ المجدُ وانْطَفَأ الضياءُ
يَهِيمُ شبَابُنَا في كلِّ وادٍ ويُسْكِـرُهُ التسكُّـعُ والغِنَـاءُ
فهم في هامشِ الأحْدَاثِ صرعىٰ فلا فكرٌ يشادُ ولا انتماءُ
ويفتنهم سفاسفُ كلِّ أمرٍ ويصرفُهُمْ عنِ المَجْدِ الهُرَاءُ
لقد أَلِفُوا الميوعةَ كالعذارىٰ وفي أمثالهم خابَ الرجاءُ
وحدِّثْ ما استَطَعْتَ عن اللواتي بهنَّ يقومُ في الأرض البِنَاءُ
فليـس بقـائـمٍ بينـانُ قـومٍ إذا فسَدَتْ وأَفْسَدَتِ النساءُ
يقولُ أئمَّةُ التحريرِ فيها بقولِ الغَرْبِ يشْدُوالببَّغاءُ
فإنَّ لقومنا رِئَةً وأخرىٰ معطَّلَةً ؛ فكيف لها الهواءُ؟!

لقد كبُرَتْ مقولةُ كلِّ إفكٍ … فـللَّـه المشيئـةُ والقضـاءُ
تهاوىٰ حصنُهَا واحَرَّ قلبي … فخفَّ السترُ وانَحسَرالغطَاءُ
فأضحَتْ فِي خِضَمِّ النَّاس صيْدًا … رخيصًا والذئابُ لها عُوَاءُ
تطاردُهَا العيونُ بكلِّ سهمٍ … فَيا لَلْهُولِ أينَ الأولياءُ؟!
إذا راعٍ غفَا ضَاعَتْ رعايا … فكيفَ بِمَنْ رعيَّتُهُ الظِّبَاءُ؟!
هنالك تَنْحَرُ الأعراض غَدْرًا … فـلا قَصْـرٌ يَصُـدُّ وَلاخبَـاءُ
وتقرَعُ سِنَّهَا البلهَاءُ حُزْنًا … وكيف يطيبُ في الدنيا البقاء؟!
وتصرعها الفضيحة كل يوم … ويقتلُهَـا الأسـىٰ والإزدراء
وتحملُ في الحشا نارًا وعارًا … تضيقُ بهَا الفسيحةُ والفضاءُ
إذا كثُرَتْ على الوَرْدِ الأيادي … سيَذْبُلُ عُودُهُ بل والشَّذَاءُ
فَيَا مَهْدَالعفافِ ألا أفيقي … فـإنَّ بكـلِّ كـارثـةٍ نـداءُ
فلا لا تأمني غَدْرَ اللَّيالِي … فـإنَّ الله يفعـلُ مـا يشـاءُ
وقد فسَدَ الزمانُ وزاد سوءً … بـأقـوامٍ وقَـلَّ الأتقيـاءُ
وأنجُمُنَـا عُبَيـدٌ للـدنـايـا … فغُيِّبْنَـا وسـادَ الأغْبيـاء
ونرجو في الفضائيَّاتِ أُنْسًا … فكيف يكونُ في الداءِالدَواءُ؟!
يناديك الهُدَىٰ والطهرُ مهلاً … ويستجديكِ دِينُكِ والوفَاءُ
ويفدي أهلُكِ الشرفَ المُعَلَّىٰ … ولو بالرُّوحِ حُقَّ له الفِدَاءُ!

وما نَطَقُوا ولو نَطَقُوا لَقَالُوا مقالةَ شاعرٍ ولَمَا أساءُوا
«فلا واللهِ ما في العيش خَيْرٌ ولاَ الدُّنيَا إذا ذَهَبَ الحياءُ»!

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

تقديم الشيخ سعيد بن مسفر ٣
المقدمة ٥
القصة الأولى: عندما ينتحر العفاف ٧
القصة الثانية: فرس الرهان ١٣
القصة الثالثة: الوداع الأخير ١٨
وقفات على ضفاف الجرح ٢٥
القصة الرابعة: وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا ٢٩
وقفات تأمل ٣٤
القصة الخامسة: خضراء الدمن ٣٦
القصة السادسة: اللعب بالنار ٤١
رسالة إلى كل أب وأخ وفتاة وفتى ٤٥
الفهرس ٦١

من إصداراتنا

حراسة الفضيلة	للعلامة بكر بن عبدالله أبو زيد
توجيهات للمرأة المسلمة	خالد بن محمد عطية
شئون نسائية	عبد الرحمن العيسى
الأذكار النبوية في الحياة اليومية	عبد الله العلاف
أذكار المؤمنين والمؤمنات	أم أحمد
مخالفات نسائية	عبدالرحمن العيسى
يابني	خالد عطية
أذكار الصباح والمساء	د. أماني مطاوع
دع الحزن وأبدأ الحياة	عبدالله الزهراني
الدعاء المستجاب	عبدالله العلاف

هذه المجموعة القصصية التي دبجها

يراع الأديب والشاعر

الأخ / مشعل المغربي بأسلوبه الأخاذ

وتصويره الفني الجميل والتي اختار لها

هذا العنوان لتؤدي دورها في تربية الجيل

وأخذ العبرة من تلك القصص المؤلمة

التي حدثت في الواقع.

ريع هذه الطبعة للأعمال الخيرية

حقوق الطبع والترجمة لكل مسلم

للحصول على نسخة مجانية من الموقع
www.tarafen.com
tarafen@maktoob.com

يطلب من مكتبة الفرقان
مكة المكرمة ٠٥٠٤٦٢٨٥٨٧

عنيت بالطبع دار الطرفين
جوال ٠٥٠٥٧٠٤٨٠٨ / ٠٥٠٣٥١٢٤٩٩